ابن جماعــة
(٦٣٩- ٧٣٣هـ)

نشأته وشخصيته :

فى الفترة التى ولد فيها ابن جماعة فى القرن السابع الهجرى، كان العالم الإسلامى يمر بفترة تاريخية تشهد تحولاً تاريخياً نحو الضعف والتشرذم، فقد كانت الخلافة العباسية القوية فى بغداد، والتى كانت تخضع العالم الإسلامى لحكمها قد بدأت قبضتها تضعف شيئًا فشيئًا، حتى تقلص ظلها وتلاشت سلطتها، وأخذت أجزاء الدولة تستقل الواحدة بعد الأخرى، وتكون دويلات وإمارات مستقلة تتعدد فيها الأسر الحاكمة، تتصارع وتتقاتل فيما بينها فى حروب لا تكاد تنتهى حتى تشب مرة أخرى (جرجى زيدان، ج٣، ص١٢١).

أما مصر والشام فقد كانتا تخضعان لحكم الأيوبيين الذين كانوا هم أيضًا قد بدأ عهدهم فى الضعف التدريجى، لتحل محل دولتهم دولة المماليك .

ومفكرنا هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة. ولد بحماة بسوريا، وقد ترعرع فى أسرة عرفت بحب المعرفة والميل إلى الزهد، وكان والده من كبار الصالحين. وقد تلقى العلم صغيرًا فى حماة، ثم قدم إلى دمشق، وكانت فى عصره محج العلماء وطلبة العلم، ثم ارتحل إلى مصر، وأخذ أكثر علومه بالقاهرة، وكانت له مشاركة قوية في علم الحديث، والفقه والأصول والتفسير، وتولى الخطابة في القدس، كما تولى قضاء مصر، بعد ابن دقيق العيد (حسن عبد العال، ص ٢٧٥) .

واشتغل ابن جماعة بالتدريس، فدرس بالقيمرية بدمشق، وحدّث ودرّس بالكاملية، كما درّس بالعادلية وغيرها، ودرّس بالصالحية والناصرية، وجامع ابن طولون، والزاوية المنسوبة للشافعى .. وغيرها . وقد أكد بعض شهود عصره من العلماء بأنه كان يتقن عملية التدريس، ويجيد التعليم

ويقف على مهاراته، حيث متعه المولى – عز وجل– بجملة من السمات التى تعين ممارس عملية التعليم على أن يكون الطريق مفتوحًا بينه وبين طلابه .

فمن ذلك، تميزه بلين الجانب، فى غير ضعف، وحسن الأخلاق، وإحسان المحاضرة، وحسن التربية من غير عنف، كما كان تام الشكل، حسن الهدى، متين الديانة، له وقع فى القلوب وجلالة فى الصدور، وكان مليح الهيئة، تقى الشيبة، جميل البزة، رقيق الصوت، ساكنًا وقورًا، ومكتحلاً بالعفاف (حسن عبد العال، ص ٢٧٦).

ويعتبر كتابه الشهير (تذكرة السامع والمتكلم، في أدب العلم والمتعلم) من أوفى الكتابات التربوية الإسلامية المتخصصة، حيث طرق مختلف الموضوعات التي كانت تشغل العقل التربوى الإسلامى حتى وقته، وتكاد الأفكار المتداولة لدى عدد من المربين الإسلاميين لا تخرج عما ورد في هذا الكتاب، وقد اعتمد كثيرون على النسخة التي نشرها "عطار" عن نسخة دار الكتب المصرية، والتى طبعت تحت إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية القائمة بعاصمة الدولة الآصفية، حيدر آباد الدكن، والكتاب مهدى إلى السلطان مير عثمان على خان بهادر، ويقول الناشر إنه أخذه من الخزانة الرامفورية – بالهند –(أحمد عبد الغفور عطار، ١٩٦٧، ص ١٦٥).

وواضح من عنوان الكتاب، وكما أكد هو في مقدمته أنه وضعه خصيصًا لكل من طالب العلم، والعالم، لكن، ما مصادر ابن جماعة في تأليف هذا الكتاب ؟

يقول هو نفسه في مقدمته "وجمعت ذلك مما اتفق في المسموعات، أو سمعته من المشايخ السادات، أو مررت به في المطالعات أو استعدته في المذاكرات، " ومن باب الأمانة وصدق القول اعترافه بأنه كتب كل هذا : محذوف الأسانيد والأدلة كيلا يطول على مطالعه أو يمله"!!

فضل العلم والعلماء :

وهو باب تقليدى معتاد، يستهل به كثيرون ما يكتبون في التربية من علماء المسلمين، مما

يدفعنا إلى عدم التكرار، فهو يورد آيات قرآنية مختلفة يستشهد بها على تقدير القرآن للعلم والعلماء، كما يورد عددًا من أحاديث رسول الله ﷺ، وكذلك جمع بعضًا من أقوال علماء السلف، ومن ذلك قول الإمام الشافعى: إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله، فليس لله ولى (عطار، ص ١٧٣). أيضًا روى عن أبى ذر وأبى هريرة رضى الله عنهما، قالا : باب نتعلمه أحب إلينا من مائة ركعة تطوعًا، وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعًا .

وهو يستنبط من كل الروايات والشهادات أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك، لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها، ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات فهى تفتقر إليه، وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها، ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه، وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن في بقاء العلم إحياء الشريعة، وحفظ معالم الملة.

وابن جماعة ينبه إلى أن ما ذكره هو وغيره من فضـل العلم والعلماء، ليس مطلق العلم، ولا كافة العلماء، وإنما هو العلم الذى يبتغى به وجه الله، والعالم الذى يسير على مثل هذا النهج، وهو في سبيل ذلك يستشهد أيضًا ببعض الأحاديث النبوية التي تؤكد على هذا المعنى.

ومن الملاحظ أنه افتتح كتابه بالحديث عن "آداب المعلم"، بما نعنيه اليوم من "واجبات" و "مهام" و "مسئوليات"، لأنه كان يعى تمام الوعى بأن المعلم هو قطب الرحى فى عمليتى التعليم والتعلم، فبغير المعلم لا تتم عملية التعليم فى غالب الأحوال، صحيح أن هناك من يستطيعون القيام بما نسميه "التعلم الذاتى"، ولكن مثل هذه الفئة "نادرة"، ومن هنا فنحن نحكم بما هو عام وشائع .

ولكى يبرهن ابن جماعة على المكانة العليا للمعلم فى التعليم يستشهد ببعض أقوال

السلف، وفى مقدمتهم أبو حنيفة، الذى قيل له : فى المسجد حلقة ينظرون فى الفقه، فسأل بدوره "ألهم رأس ؟"، يريد بذلك "مشيخة" و"رئاسة" التى كانت تتمثل فى ذلك الزمان بالمعلم أو العالم، فلما أجابوه قائلين بالنفى، إذا به يعقب "لا يفقه هؤلاء أبدًا" (حسن عبد العال، ص ٢٧٩)، وبالتالى كان من الطبيعى أن يكتب الكثير مما يتصل بالمعلم، وما يجب أن يتصف به حتى أنه كتب "وينبغى للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن ممن كلف أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانته، وكان أحسن تعليمًا، وأجود تفهيمًا".

ويزيد ابن جماعة على ما سبق قوله: إن تحقيق مقاصد التعليم موقوف على حسن اختيار المعلم، ومن هنا كان قوله: "إذا سبرت أحوال السلف والخلف، لم تجد النفع يحصل غالبًا، والفلاح يدرك طالبًا، إلا إذا كان للشيخ (أى المعلم) من التقوى نصيب وافر، وعلى الشفقة ونصحه للطلبة دليل ظاهر" . والنتيجة المنطقية لهذا وذاك أن طالب العلم نفسه يستحيل عليه تحقيق غايته إلا بالقدر الذى يحسن فيه اختيار من يتعلم على يديه، بحيث "يعتمد فى كل فن من هو أحسن تعليمًا له، وأكثر تحقيقًا فيه وتحصيلاً منه، وأخبرهم ... وذلك بعد مراعاة الصفات المقدمة من الدين والصلاح والشفقة وغيرهما".

ماذا يجب على المعلم تجاه تكوينه كمربٍّ ؟

لأن المقصد دينى بالدرجة الأولى، كان من الطبيعى أن نلاحظ هذه النزعة في عملية اختيار مجموعة الآداب والمسئوليات والواجبات التي لا بد منها للعالم تجاه نفسه أولا، وتلك خطوة ذكية من ابن جماعة، فالمعلم والعالم خلقه "العطاء"، ومحور عمله ومسئوليته، ومن هنا كان لا بد من الحرص أولا على توافر البنية الأساسية لصورة الشخصية المسلمة المتكاملة لدى المعلم نفسه، حتى يمكن له أن يبذل ما يمكن من جهد وما يتوافر من طاقة أن يسهم في تنشئة المتعلم بالصورة التي تتسق وأساسيات العقيدة الإسلامية .

وعلى هذا، نجد هذه المسئوليات أو الواجبات تنحصر في النقاط التالية (عطار، ص ١٧٥):

١- تقوى الله : والتى تجمع جوهر ما صاغه ابن جماعة بعبارات أخرى، مثل "دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن"، وما يترتب على هذا من الخوف من المولى عز وجل، في كل كلمة، وكل فعل، وكل حركة يأتيها المعلم أن تكون على غير ما يجب من حيث مرضاة الله عز وجل، وهذا يعكس ثقل ما حُمّل المعلم من الأمانة، فطالب العلم بالنسبة إليه "أمانة" استودعها، لا ليردها كما تسلمها، بل وقد زادت ونمت وربت بفعل ما يقدم له من علم وتربية وتنشئة، حيث قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾، وقوله في سورة المائدة ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٢- صيانة العلم : والمقصود بالصيانة هنا "المحافظة عليه"، بحيث يحرص على ما هو مفروض من عزة العلم وشرفه، ومن ثم الحرص على عدم إحاطة العلم بأى مظهر من مظاهر المذلة، وذلك عندما يذهب المعلم بعلمه إلى من لا يستحقون من هؤلاء الذين تدور قيمهم وأقواله وأفعالهم حول محور الدنيا ومطالبها، مهما كان من هؤلاء من هم في مقام سلطة عالية، وهو في هذا يستشهد بقول أبى شجاع الجرجانى :

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتى ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

٣- الزهد بالدنيا : وهى نغمة تسود كتابات كثير من المربين الإسلاميين في عصور الحضارة الإسلامية، لكن ابن جماعة يربط هذا الزهد بشرط مهم، ألا وهو ألاّ يضر الزهد بنفسه أو بعياله، ذلك لأن هناك احتياجات أساسية لا بد منها، والسعى لسدها "ليس يعد من الدنيا". وعلى الرغم من هذا الوعى فهناك صفات حادة يصف بها الدنيا من حيث "خستها وفتنتها وسرعة

زوالها، وكثرة تعبها ونصبها"، ولتدعيم رأيه يستعين ببعض أقوال السلف، وعلى سبيل المثال ينقل عن يحيى بن معاذ قوله: "إن الدنيا لو كانت تبرًا يفنى، والآخرة خزفًا يبقى لكان ينبغي للعاقل إيثار الخزف الباقي على التبر الفاني، فكيف والدنيا خزف فانٍ، والآخرة تبر باقٍ"؟! (ابن جماعة، ص ١٧٦).

٤- المقصد الأخروي لطلب العلم : وتلك نتيجة طبيعية لما سبق، وهذا يعني أن ينزه طالب العلم نفسه من أن يتخذ مما يصل إليه من علم سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة، ومن هنا فقد استنتج ابن جماعة في "النوع الخامس" ضرورة أن يتنزه الإنسان عن دنيء المكاسب ورذيلها، فإذا ما تساءلنا عن مثل هذه المكاسب، ساق لنا أمثلة من الحجامة، والدباغة، والصرف، والصباغة، ونحوها .

٥- الحرص على القيام بشعائر الإسلام: وكذلك ظواهر الأحكام، كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات، وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى بسبب ذلك، صادعًا بالحق عن أصحاب السلطة، لا يخاف في ذلك لومة لائم، متنبهًا لقوله عز وجل: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾، وللعالم في رسول الله، وأنبياء الله أسوة حسنة، من حيث ما لاقوه من صعاب ومشقة في سبيل الله . ومن المهم هنا أن يكون نهج العالم هو "التحوط"، فهناك من الأمور ما يكون الحكم فيها بالجواز، وهنا يحسن بالعالم أن يحرص فقط على الأحسن والأكمل، حيث إن العلماء قدوة الناس، وإليهم المرجع في الأحكام، وهم حجة الله على عامة الناس (ابن جماعة، ص ١٧٨).

٦- المحافظة على المندوبات الشرعية: سواء القولي منها أو الفعلي، مما يتطلب منه ملازمة تلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار، ومن نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام والصلاة على النبي ﷺ. وتلاوة القرآن لا تكون هدفًا في حد ذاته، حيث يكون المطلب الأساسي هو العمل بما فيه، مما يستوجب تدبر معانيه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده والوقوف عند حدوده، والحرص على ألا يتفلت القرآن منه مما يوجب دوام مذاكرته.

٧- **التحلى بمكارم الأخلاق :** مما يوجب الالتزام بطلاقة الوجه، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، وتحمله عندما يقع منهم، والميل إلى جانب الإيثار لا الاستئثار، والسعى في قضاء الحاجات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والأقرباء، فإذا ما رأى أحدًا لا يقوم بالواجبات الدينية، كان من الضرورى إرشاده إلى أدائها، لكن بلطف ورفق (ابن جماعة، ص ١٨٠). ويمكن ضم ما سماه "النوع التاسع" إلى هذه القضية، حيث يستمر في التركيز على جوانب أخلاقية في السلوك المنشود، ومن هنا نجده يشدد على أهمية تطهير الباطن من الأخلاق الرديئة، مثل الغل والحسد والبغى والغضب لغير الله والغش والكبر والرياء والعُجب، والخبث والبطر والطمع والفخر والخيلاء والمداهنة والتزين للناس وحب المدح والبخل والغيبة والنميمة، وما سار في هذا الاتجاه. وعكس ذلك، هناك بعض السمات المرضية التي تحتاج إلى اكتسابها والتحلى بها، مثل دوام التوبة، والإخلاص، واليقين والتقوى، والصبر والرضا والقناعة، والزهد والتوكل والتفويض، وسلامة البطن، وحسن الظن وحسن الخلق، وشكر النعمة، والحياء من الله تعالى ومن الناس، ومحبة الله - عز وجل- هى السمة الجامعة لكل ما يمكن تصوره من محاسن السلوك ومكارم الأخلاق.

٨- **الالتزام بالجد والاجتهاد :** وابن جماعة هنا يغلب الجدية والتفرغ التام للتحصيل المعرفى، مع الالتزام كذلك بالنزعة الدينية التي توجب دوام العبادة بمعناها المباشر. والجدية هنا تستلزم عدم التزيد عن ذلك الحد الأدنى من العمل المعيشى الذى يستلزمه الحد الأدنى من الشرب والمأكل والنوم وبعض الاستراحة خشية الملل، أو أداء حق الزوجة أو أحد الزوار. وكأن ابن جماعة يستشعر تساؤلاً مكتومًا لدى البعض عن هذه الصرامة والجدية والمثابرة على العلم والعبادة، فيفسر تشديده على كل هذا وما سار مسراه بأن درجة العلم درجة وراثة الأنبياء، ولا تنال المعالى إلا بشق الأنفس، ويستشهد ببيت شعر يقول فيه القائل :

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ومع ذلك فابن جماعة يدرك أن لكل أمر حدودًا، ومن هنا يعترف بألا يحمل نفسه فوق طاقتها كيلا تسأم وتمل "فربما نفرت نفرة لا يمكن تداركها، بل يكون أمره في ذلك

قصدًا، وكل إنسان أبصر بنفسه". والقصد المنشود هنا بمعنى الاقتصاد وعدم الإفراط، وليست هناك قاعدة موحدة يمكن للجميع أن يلتزموا بها، فالناس قدرات واستعدادات، مما نلمس الوعى به لدى مربينا من حيث إقراره بأن تترك الحدود والمعايير لتقدير كل إنسان، حيث هو أدرى بطاقته.

٩- الحكمة ضالة المؤمن : مما يعنى أن لا يستنكف العالم أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصبًا أو نسبًا أو سنًّا، بل يحرص بكل ما أوتى من جهد على تحصيل الفائدة العلمية حيث كانت، وكعادته في الاستشهاد بأقوال السلف، ينقل عن سعيد بن جبير قوله : "لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون"، وكذلك ما أنشده بعض العرب (ص ١٨٣):

وليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

ولعلنا هنا يمكن أن نفهم حرص ابن جماعة على إبراز أهمية الثقافة العامة للمعلم، فى الوقت الذى لا بد منه من المعرفة التخصصية. صحيح أن ابن جماعة لا يستخدم المصطلح المعاصر ألا وهو "الثقافة"، ولكنه يعنيه بالفعل عندما ينبه المعلم بضرورة أن "يحفظ من كل فن مختصرًا". وإذا اعترض أحد نظرًا لمطلب الحفظ، فلا بد أن نأخذ بعين الاعتبار أن الطباعة لم تكن قائمة، وأن النسخ لم يكن متاحًا ومتيسرًا دائمًا، وأن "الحفظ" من ثم كان بديلاً عن الطباعة، فضلاً عما نلمسه فى سائر كتابات الرجل من وعى بأهمية الفهم والاستيعاب.

ولعل ما يؤكد على هذا تلك النصيحة التى يوجهها ابن جماعة للمعلم والعالم، ألا وهى مناقشة المتخصصين فى كل فن ومناقشة علمائه، حيث يفيد ذلك فى مزيد من الإيضاح للمفاهيم والمصطلحات . بل إن الرجل ليعلو قيمة ومكانة عندما يحذر من الاعتماد فى ذلك على الاطلاع "الورقى"، ذلك أن المواجهة بين العلماء والحوار والمناقشة أكثر فائدة وأقرب إلى تحقيق المقصود .

ويمكن أن ندرك قيمة الثقافة العامة أكثر عندما نستعيد ما كان للمعلم فى زمن ابن جماعة من مكانة تجعله مقصد جماهير الناس، يسترشدون به لا فى العلم الذى تخصص فيه فحسب،

بل أحيانًا ما يتعاملون معه باعتباره "موجهًا عامًّا"، ليس ملكًا لطلابه وحدهم، بل هو ملك للجماعة التى هو عضو فيها .

وقد يعترض البعض على اهتمام شيخنا ابن جماعة ببعد الثقافة العامة وأهميتها للمعلم إلى الحد الذى جعله يقترح برنامجًا خاصًّا للتثقيف العام، ووجه اعتراضهم أن المعلم بحاجة إلى إتقان مواد تخصصه أكثر من حاجته إلى ثقافة عامة، وهو يستطيع بتعمقه فى تخصصه أن يؤدى عمله بصورة مرضية تجعلنا نسمه بالنجاح فى تعليمه، غير أن ذلك مردود عليه بأن التخصص العلمى الدقيق يشتمل فى أوائله ونهاياته على ثقافة عامة تفوح منه وتزينه، بل إن التخصص المقرون بثقافة عامة يرتقى بالمعلم من معرفة الظواهر الخاصة التى يدرسها إلى آفاق عالية يطل منها على الميادين الأخرى . فإذا أضفنا إلى ذلك أنه ليس للمعلمين من سبيل للإحاطة بجميع العلوم فإن حاجة المعلمين إلى الثقافة العامة لا تقل عن حاجتهم إلى التبحر فى موضوعات علومهم؛ لأنهم جميعًا مكلفون بتعليم فريق واحد من الطلاب، فإذا لم تجمع بينهم ثقافة عامة واحدة لم يكن إلى تعاونهم فى تربية هؤلاء الطلاب سبيل (حسن عبد العال، ١٩٨٣، ص ١٣٣).

١٠- الاشتغال بالتأليف: ولا يكون ذلك جزافًا، بل لا بد من توافر الأهلية لذلك، فضلاً عن توافر أساسيات الفضيلة، فالمسألة ليست مجرد تأليف وتصنيف كتب، بل لا بد من الاستناد إلى منظومة القيم الأخلاقية التي هى المميز الأساسى للتربية الإسلامية باعتبار مرجعيتها الدينية، وما هو معروف من أخلاقيتها. وميزة الاشتغال بالتأليف، أنه يدفع المؤلف إلى استمرار القراءة والاطلاع، مع ضرورة أن يحرص المؤلف على أن يقتحم ما لم يسبقه إليه أحد في التأليف بقدر الإمكان، وهو الأمر الذى نبحث عن توافره ونحن نعد رسائل الماجستير والدكتوراه، وسائر البحوث والدراسات التي يبقوم بها الباحثون، حيث يكون التساؤل المهم: ما الإضافة العلمية التي يتضمنها البحث المنشود؟ ومن هنا فإن لنا أن نتساءل بالنسبة إلى هؤلاء الذين لا ينتصحون بمثل هذه النصيحة : ما جدوى ما يكتبونه، إذا لم يكن يضيف جديدًا إلى بنية المعرفة ؟ والجديد المنشود هنا لا يكون فى أى مجال وبالنسبة إلى أية قضية، إذ لا بد من مراعاة القيمة النفعية، لا بالمعنى المادى الشخصى المباشر، وإنما باسترجاع الهدف

الدينى الذى يلح عليه ابن جماعة بصفة مستمرة.كذلك من نصائح ابن جماعة الاحتراز من أمرين كلاهما مضر: أولهما التطويل الممل، وثانيهما الإيجاز المخل. وما لا يقل عن ذلك دقة وأهمية ألا يخرج البحث أو الكتاب من يد المؤلف إلا بعد مراجعات ونظرات تدقيق وفحص.

ولعل هذه الواجبات الأخيرة تشير إلى جملة ما هو موضوع بحث ودراسة فى الدراسات التربوية، فى كل زمان ومكان، ألا وهو التكوين العلمى للمعلم، بحيث يكون متمكنًا مما عرف بالتخصص فيه بين الناس، مما يوجب عليه أن يكون غزير المعرفة، يعرف ما يعلمه أتم معرفة وأعمقها، يتحقق فيه "تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشايخ (علماء) عصره كثرة بحث وطول اجتماع" . ومن أهم النتائج التى تترتب على ذلك ضرورة التزام المعلم بتجنب التصدى لتعليم تخصص لم يعد له الإعداد الكافى، ويكتفى بما تعمقه وأحاط به معرفة واطلاعًا وإتقانًا .

ولأن المعرفة متطورة دائمًا، تنمو مثل الكائن الحى وترقى، فهذا يلزم المعلم بأن يكون هو كذلك، بحيث لا يكف عن متابعة إنتاج المعرفة، والبحث والتفكر والتعليق والاجتهاد، والتصنيف والتأليف .

وإذا كان لفظ "المعلم" يفيد أنه مصدر تصدر عنه المعرفة وينقلها إلى المتعلمين، إلا أن هذا لا ينبغى أن يلغى احتمال أن يستفيد المعلم من تلاميذه، سواء بتعليقاتهم أو بإضافاتهم، أو حتى باستغلاق بعض ما يقول على أفهامهم، إذ إن هذا من شأنه أن يدفعه إلى مراجعة ما يقول أو يكتب، ليكون أكثر وضوحًا وبساطة، ومن هنا قيل إن المعلم لا بد أن يكون فى الوقت نفسه "متعلمًا" !!

وابن جماعة بهذه اللفتات الفكرية، وما ماثلها، مما يصب فى تنبيه المتعلم على استمرار التعلم والبحث، فهو بهذا يؤكد التفاعل بين عمليتى التعليم والتعلم، حيث إن كلاً منهما بحاجة إلى الطرف الآخر، وفى الوقت نفسه هو عطّاء لهذا الطرف الآخر، أى أن كلاً منهما يأخذ من الطرف الآخر ويعطيه.

ما يجب على العالم في دروسه التعليمية :

وقبل بيان المهام التي يجب على العالم أن يقوم بها نكرر هنا التنبيه على ندرة التفرقة بين "العالم" و"المعلم"، فقد كان العالم كثيرًا ما يقوم بواجب التعليم، وكان المعلم في كثير من الأحيان عالمًا، وخاصة في العهود الأولى من الحضارة الإسلامية، وقبل أن تتكاثر المعارف والعلوم، وتتعدد المهام والمسئوليات مما يدفع إلى تقسيم العمل، فيكون هناك عالم متفرغ للبحث والقراءة والتأليف، ومعلم يتلقى ما يصل إليه العلماء من معارف ونتائج ويقوم هو بنقله على طلاب المعرفة الجدد .

أما هذه المهام، فهى تتحدد بما يجب عليه في دروسه التي يلقيها على المتعلمين، وهى كما يلى (ابن جماعة، ص ١٨٥):

١- ألف باء العمل المهنى عامة والتعليمى خاصة أن يكون المعلم قد تمكن مما سوف يقوم بتعليمه للآخرين، وفقًا للقاعدة الشهيرة "فاقد الشيء لا يعطيه"، فكيف بنا إذا كان الأمر أمر إفتاء علمى، ونقل للمعرفة، وشرح وتطوير وربط واستنتاج ومقارنة ؟ ومن هنا كان قول ابن جماعة: "أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه" (ابن جماعة، ص ١٩٣)، وفى هذا يذكر أثرًا منسوبًا لرسول الله "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور"، ونقل عن العارف بالله "أبى بكر الشبلى" المتوفى عام (٣٣٤هـ) "من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه".

٢- التطهر : فها هنا يبرز لنا التقدير الذى يفوق كل التوقعات في قيمة وأهمية عملية التعليم إلى الدرجة التي يوجب عندها ابن جماعة أن يكون القائم متطهرًا، وكأنه يقوم بواجب مقدس، يفرض عليه أن يقف في محراب العلم كما يقف المصلى أمام الخالق - سبحانه وتعالى، ويعبر ابن جماعة عن ذلك بإيجابه التطهر من الحدث والخبث، ويتحلى بالنظافة، ولبس أحسن الثياب "قاصدًا بذلك" تعظيم العلم وتبجيل الشريعة. ويستشهد ابن جماعة بالإمام مالك، الذى كان إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا ووضع رداءه على رأسه، ثم يجلس على منصته ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ، ثم يصلى ركعتى

استخارة، ويعقد النية على نشر العلم وتعليمه .

٣- التهيوء للتعليم : ولأن عملية التعليم تتناول موضوعات تقع في دائرة العلوم الدينية، فهو يؤكد على بعض الإجراءات، مثل استقبال القبلة، والقيام ببعض الأدعية. لكن من الناحية العامة للتعليم، فهناك بعض القواعد الأساسية التي قد تبدو شكلية لكن لها قيمتها في تصفية العمل التربوى من بعض الأكدار، وعلى سبيل المثال، فعلى المعلم أن يتجنب "تفريق النظر" من غير حاجة، وأن يتقى المزاح فى غير الضرورة، وكذلك كثرة الضحك، فعدم الالتزام بهذا وذاك يقلل الهيبة ويسقط الحشمة، وقيمة هذا أنه يفتح الطريق سالكًا بين ما يصدر عن المعلم وبين قلوب الطلاب وعقولهم، فقلما يحفل الطلاب بالإنصات إلى من لا يحترمونه، فضلاً عن أن يستوعبوا دروسه. كذلك على المعلم ألا يدرس في وقت جوعه أو عطشه أو غضبه أو نعاسه أو قلقه، ولا في حالة البرد الشديد أو الحر القائظ، فإن من شأن عدم الاحتراز لهذا وذاك أن يجىء قول المعلم في غير محله (ص ١٨٦).

٤- تعبيد الطريق بين المعلم وطلابه: وحتى يعبد المعلم الطريق بينه وبين طلابه، عليه أن يكرمهم بحسن السلام وطلاقة الوجه ومزيد الاحترام، ويظهر انتباهه للحضور، ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه بمزيد من الانتباه إليه والإقبال، مهما كان صغيرًا أو قليل الشأن والمرتبة .

٥- وينبغى على المعلم عندما يشرع في درس أن يصل بين موضوع الدرس الحاضر وموضوع الأمس، حتى يحدث تواصل معرفى، مع الحرص على الابتعاد عن مواضع الشبهات، فإذا ما وجد ضرورة لتناول إحداها أو بعضها، وجب ألا يتقيد بمذهب بعينه. وسواء كان الدرس في هذا أو في غيره، فيحذر ابن جماعة المعلم من المغالاة في التطويل أو في الاختصار، ويكون المعيار في ذا وذاك هو مقدار ما يتوقع من حصول فائدة للتلاميذ .

٦- ومن الآداب أيضًا ما يتعلق بدرجة الصوت التي يجب أن يلتزم بها المعلم، إذ لا يجب أن تتجاوز القاعة أو المساحة التي يوجد بها التلاميذ، ولا أن تقل عنها مما قد يفوت على البعض سماع الدرس. فإذا ما كان هناك بعض طلاب ممن عرفوا بثقل السمع، فلا بأس من أن يحرص

على جلوسهم في المقدمة، فضلا عن رفع الصوت أحيانًا حتى يضمن سماعهم الدرس .

٧- تجنب اللغط: واللغط هنا مقصود به تداخل الأصوات، وكذلك كثرة التفريع والخروج عن الموضوع موضع الدرس، والتطرق إلى غيره قبل الانتهاء من الأول، وما لا يقل عن ذلك أن تسود الرغبة في "المماراة"، وتنبيه الجميع أن المقصود الأفضل دائمًا هو "ظهور الحق، وصفاء القلوب، وطلب الفائدة"، ومن ثم فلا يليق بأهل العلم الوقوع في براثن المنافسة البغيضة التي تكتسى بالشحناء والعداوة والبغضاء (ص ١٩٠).

٨- وإذا كان المطلوب أن يكون رفيقًا بالمتعلمين، هاشًّا باشًّا لهم، إلا أن الحزم من مقتضيات التدريس، ومن ثم يصرح ابن جماعة للمعلم أن يزجر من تعدى في بحثه أو ظهر منه لدد في بحثه أو سوء أدب أو جنح للظلم أو أكثر الصياح بغير داع أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين، أو نام أو تحدث مع غيره، أو ضحك أو استهزأ بأحد من الحاضرين أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة .

٩- والعدل في تصرفات المعلم مبدأ حيوى، سواء في بحثه أو خطابه، فيظهر، في غير تكلف، الاهتمام بما يقال في الدرس من أسئلة، مهما كان مقام السائل، حيث كان مجلس التعليم في هذه العهود يمكن أن يجمع طلابًا متفاوتى السن والمنزلة والمعرفة، لا كما ألفنا في أيامنا المعاصرة من مظاهر تجانس في طلاب القاعة الواحدة في الصف الواحد. ومن الضرورى شدة التيقظ من قبل المعلم لأن بعض التلاميذ قد لا يتمكنون من حسن التعبير عما يريدون، فيشوب سؤالهم أو أجوبتهم بعض الغموض، فلا بأس أن يسارع المعلم إلى مزيد من التوضيح، من غير أن يظهر تجريحًا للسائل أو المجيب. فإذا حدث وسئل المعلم فيما لا يعرف أو يتقن الإجابة، فلا بد أن يعترف في الحال بأنه لا يدرى، وهذا ما اتفق عليه كثيرون من علماء المسلمين، حتى لقد شاعت المقولة القائلة: "من قال لا أدرى فقد أفتى".

أصول التعليم :

ونقصد بها جملة من القواعد والمبادئ التي لا بد أن يلتزم بها المعلم مع طلابه، ويحصرها

ابن جماعة في الخطوط العريضة التالية (ابن جماعة، ص ١٩٤):

١-المقصد الربانى: وتتوالى المظاهر المختلفة التي تكشف عن النزعة الدينية لآراء ابن جماعة، فالمعلم هنا، حتى ولو قصد أن يعد المتعلم لمهنة أو حرفة معينة، أو أن يعده كعضو في مجتمع، أو يؤهله للتعامل مع عناصر متعددة من الحياة، فهو في هذا وذاك يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ونشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق وخمول الباطل، ودوام خير الأمة .

٢- وصحيح أن من الشروط التي أكد ابن جماعة على المعلم أن يلتزم بها، أن يخلص النية لله في أولى خطوات التعلم والتعليم، مما يجعلنا نتوقع أن يشترط ذلك على من سوف يقوم بتعليمه من الطلاب، إلا أنه يميل إلى ألا يجىء ذلك جبرًا وإكراهًا، ومن ثم فعلى المعلم ألا يمتنع عن تعليم الطالب لعدم خلوص نيته، وإنما يسعى إلى أن يكون ذلك بالرفق والتدرج والاقتناع والميل والتحبيب، بأن يبين له أنه ببركة حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل وفيض اللطائف وأنواع الحلم وتنوير القلب وانشراح الصدر وتوفيق العزم وإصابة الحق (ابن جماعة، ص ١٩٥).

٣- وعلى هذا فإن التعلم والتعليم لا بد أن يرتبطا بالميل والرغبة، ولعلنا قرأنا الكثير في بعض فلسفات التربية الحديثة وخاصة كما تتبدى في كتابات رائد البرجماتية التربوية، جون ديوى، من حيث ضرورة ربط التعلم بميول المتعلم، مع ملاحظة الفرق هنا في توجه الميول، فليست هى الميول الفردية الشخصية البحتة، صحيح أن الميل بطبيعته فردى، لكن هنا يأتى دور المعلم من حيث توجيه هذه الطاقة الوجدانية المؤثرة، وُجهة ترتبط بالمقاصد العليا، ومن هنا يجىء قول ابن جماعة: "أن يرغبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات؛ بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات وأنهم ورثة الأنبياء وعلى منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، أو نحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والآثار والأخبار والأشعار" (ابن جماعة، ص ١٩٥).

ويرى ابن جماعة أن المتعلم فى بدء تعلمه يكون أشد حاجة إلى الترغيب والتشجيع وإثارة

دوافعه، وقد عبر عن ذلك بالتحريض فقال: "الشيخ يحرض المبتدئ على حسن النية (فى طلب العلم) بتدريج قولاً وفعلاً، ويعلمه أنه بعد أنسه به ببركة حسن النية (صدق الدافع) ينال الرتبة العلية من العلم والعمل وفيض اللطائف وأنواع الحكم وتنوير القلب وانشراح الصدر وتوفيق العزم، وإصابة الحق، وحسن الحال، والتسديد فى المقال، وعلو الدرجات يوم القيامة"، وتلك كلها مرغبات تحفز طلاب العلم وخاصة المبتدئين منهم على التعلم، وهى قوية التأثير فيهم (حسن عبد العال، ص ٢٩٩).

وقد حفظت لنا المصادر اهتمام المعلمين بتحفيز تلاميذهم وإثارة دوافعهم للتعلم "قال الأعمش: قال لى إبراهيم وأنا غلام فى فريضة: احفظ هذه لعلك تسأل عنها"، "وعن عروة ابن الزبير أنه كان يقول لبنيه: يا بنى إنى أزهد الناس فى عالم أهله، فهلموا إلىَّ فتعلموا منى، فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم".

٤- وكما سبق للغزالى أن قال قولته الشهيرة من حيث وجوب أن يجرى المعلم تلاميذه مجرى بنيه، نجد هذا التوجه متكررًا، وخاصة عند ابن جماعة، ومظهر ذلك أن يحب المعلم لتلميذه ما يحبه لنفسه، وينقل ابن جماعة قولاً لابن عباس يتسم بعمق الحب والتقدير إلى الدرجة التي دفعته إلى القول: "لو استطعت ألا يقع عليه الذباب لفعل"!!

ومن مظاهر حب المعلم لتلميذه أن يعتنى بمصالحه وأن يصبر على ما قد يصدر منه من جفاء، وأن يعالج مثل هذا وما سار مثله بقدر كبير من اللين والرفق "ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف، لا بتعنيف وتعسف"، وحبذا أن يصبر المعلم بحيث تتاح الفرصة للتلميذ أن يشعر بنوع ومقدار خطئه، فإذا لم يكن الطالب على قدر من الذكاء بحيث يصل إلى الأمر بنفسه، سعى المعلم إلى التدريج في التلطف "ويؤدبه بالآداب السنية ويحرضه على الأخلاق المرضية، ويوصيه بالأمور العرفية على الأوضاع الشرعية" (ص ١٩٦).

٥- ولأن للتلاميذ استعدادات وقدرات، كان من الضرورى على المعلم ألا يلقى على المتعلم "ما لم يتأهل له"، حيث إن هذا يبدد تفكيره ويشتته، أما إذا سأله الطالب شيئًا من هذا، فلا ينبغى للمعلم أن يستجيب، وإنما يُفهم الطالب بضرر هذا بالنسبة إليه، وأنه إنما يمنعه

من هذا شفقة عليه ورحمة به .وقد رأى ابن جماعة أن الذكاء من أقوى عوامل التأثير فى التعلم، ودلل على ذلك بأن الطالب الذكى تكفيه من معلمه الإشارة دون العبارة، فالذكى إن ألمح معلمه بشىء فى شرحه للدرس "عرف ذلك لذكائه بالإشارة فلا حاجة إلى صريح العبارة" . أما الأقل ذكاء، فإنه "لم يفهم ذلك إلا بصريحها"، ولهذا أوجب ابن جماعة على المعلم أن يفرق فى طريقة تعليم كل منهما (حسن عبد العال، ص ٣٠١).

٦- والطالب يكون بحاجة إلى أن يحرص المعلم على حسن تفهيمه وتقريب المعنى له من غير استغراق في تفاصيل وجزئيات ومعميات قد تغمض الرؤية أمامه، وأن يعدد من طرق التفهيم حتى يمكن أن يستغرق مختلف المستويات، وهنا لا بد من الاستعانة بالأمثلة المحسوسة والمعاشة، فضلاً عن أهمية قرن ذلك بالأدلة والبراهين، وإذا كانت هناك أحكام، فلا بد من تفهيم الطالب دليلها ومعانى الأحكام وعللها، على أن يكون ذلك بالعبارة الحسنة، مع الحرص على عدم التعريض بأحد من العلماء. ومن أهم ما ينبه إليه ابن جماعة ألا يجىء التعليم في صورة تسجيلية وصفية فقط، فلا بد أن يقترن ما يعلمه المعلم بعقد المقارنات وأوجه التشابه والاختلاف بين هذا وذاك .

وإذا كان الطلاب من ذوى الاستعدادات الخاصة أو النابهين يحتاجون إلى رعاية خاصة من معلميهم وإلى مناهج فى التعليم تلائم ما يملكون من استعدادت ومواهب، فإن ابن جماعة يرجو من العلم أن يعنى بهؤلاء التلاميذ، فإذا وقف على استعداد طالبه ونبوغه فإن عليه أن يحرضه على طلب الفوائد وحفظ القواعد، ولا يدخر عنه من أنواع العلوم ما يسأله عنه وهو أهل له لأن ذلك ربما يوحش صدره وينفر القلب ويورث الوحشة، وطالما رأى ذهنه قابلا، وفهمه جيدًا، نقله إلى كتاب يليق بذهنه.. ذلك لأن نقل الطالب إلى ما يدل نقله إليه على جودة ذهنه يزيد انبساطه (حسن عبد العال، ص ٣٠٢).

٧- والتقويم خطوة مهمة في نهاية الدرس، على ألا يقع المعلم في وهم السؤال الساذج المعروف بأن يسأل الطالب: هل فهمت؟ فكثيرًا ما يجيب الطالب بالإيجاب دون أن يعنى ذلك الحقيقة بالفعل، فبدلاً من أن يحرجه ويكشف كذبه، عليه أن يطرح المسائل والمشكلات،

ويسأل عن رأى الطالب، فإذا كان قد فهم ما تم تعليمه بالفعل، فسوف يظهر هذا بطريقة سوية جيدة .

٨- والثواب والعقاب لهما دور فعال في عملية التعليم والتعلم، لكن استخدامهما يقتضى دقة وحكمة وحرصًا، ومهارة في الوزن والتقدير والحكم، ومن ثم نصح ابن جماعة المعلم بألا يبخل في إبداء الإعجاب والثناء لمن يلمس إخلاصه في التعلم وخاصة بين أصحابه، فذلك أدعى لإشعاره بالفخر، وأحفز للبعض بالمنافسة فيما يستحق الإعجاب والإثناء، وعلى العكس من ذلك بالنسبة إلى المقصر، فلا بد من تعنيفه جراء ما قصر فيه، بعد استقصاء أسباب التقصير، وما إذا كان لأسباب عارضة أم هو أمر متكرر وإهمال .

٩- وتنبه ابن جماعة إلى فئة من الطلاب تغلو في بذل الجهد إلى درجة يسببون فيها لأنفسهم إجهادًا وتعبًا شديدًا، ومثل هؤلاء لا بد للمعلم من أن يرشدهم إلى كيفية الرفق بأنفسهم، مذكرا قوله ﷺ: "إن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى" . وهؤلاء الذين يبذلون جهدًا فوق طاقتهم، ويواصلون الليل بالنهار تحصيلاً وحفظًا، لا مفر من أن يعانوا أحيانًا من الملل، وهؤلاء لا بد من الحرص على دفعهم إلى إعطاء أنفسهم ما هم في حاجة إليه من الراحة. وإذا كان الإنسان يتعلم نتيجة نشاط يتصل بجهازه العصبى، ومن أمثلة هذا النشاط السمع والشم والإحساس والتفكير والنشاط الحركى أو غير ذلك من ألوان النشاط (حسن عبد العال، ص ٣٠١)، فإن من الخطأ فى رأى ابن جماعة أن يرهق الإنسان فى تعلمه حواسه وذهنه ويصل بها إلى حد التعب والكلال والإعياء . وفى هذا الشأن لعل من الأوفق من البداية أن يختبر المعلم حال الطالب من حيث قدرته على الفهم والاستيعاب والحفظ، ومن ثم يختار له من الكتب ما يوفق حاله، متدرجًا به من الأسهل إلى السهل، ثم إلى المتوسط وهكذا، فمن شأن هذا أن يريح النفس لدى الطالب .

١٠- ويحرص ابن جماعة على إحاطة عملية التعليم بمناخ تسوده الرقة والمودة وما نسميه الآن بالعلاقات الإنسانية، فضلاً عن تكافوء الفرص والعدل في المعاملة، ومما يوجبه هذا وذاك ألا يظهر تفضيله لطالب على آخر، إلا إذا كان الطالب المفضل ذا جهد بارز وفهم واضح ودأب

في التحصيل، ففى هذه الحالة لا بأس من تخصيصه بعلامات الرضا. لكن، بصفة عامة، فلا بد من إظهار المودة لمن حضر، والسؤال عمن غاب وذكره بالخير، وإذا طال غيابه سأل عنه وعن أحواله، ومن الممكن أن يرسل إليه أحد زملائه أو يقوم هو بزيارته، فإذا عرف به مرضًا عاده، وإذا عرف أنه مسافر، سأل عن أهله وتفقدهم.

وفضلاً عن ذلك، فمن المهم أن يسعى المعلم إلى أن يكون على دراية ببعض أحوال طلابه من الناحية العائلية، مثل معرفة أنسابهم ومواطنهم وأحوالهم المعيشية (ابن جماعة، ص ٢٠١).

ويرتبط بالمناخ الودى الإنسانى أن إذا صدر فعل غير طيب من أحد من الطلاب، شجب المعلم الفعل نفسه أمام الجميع من غير أن يكشف عن صاحبه، فإذا لم ينتهِ عما فعل، عرفه سرًّا، فإن استمر في فعله الخاطئ، وجب التوبيخ والتقريع والعقاب علانية وأمام الجميع، حتى ينزجر المخطئ ويتأدب من يسمع ويحذر .

ومن الخطأ فى التعليم عند ابن جماعة أن يقوم المعلم ببذل كل الجهد فى الإلقاء والشرح من بداية الدرس حتى نهايته، ولا يسمح للتلاميذ بعمل شىء سوى الإنصات والنظر إليه، ذلك لأن التعليم عملية تفاعل وأخذ وعطاء متبادلين بين المعلم والمتعلم، وليست الفائدة مصدرها الوحيد هو المعلم، بل تحقيق الفائدة عمل مشترك بين المعلم وتلاميذه، وقد أكد ابن جماعة على هذا بإشارته إلى أن جماعة من أهل السلف كانوا يستفيدون من طلابهم ما ليس لديهم (حسن عبد العال، ص ٣٠٠).

ولا بد من مراقبة تعامل الطلاب مع بعضهم البعض، لا مراقبة أمن وتجسس، وإنما مراقبة رعاية وحرص على مصلحة هؤلاء الأبناء، و تكون المراقبة خاصة من حيث ضرورة إفشاء السلام وحسن التخاطب في الكلام والتحابب والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان .

١١- وصحيح أن المعلم في الغالب أكبر سنًّا من الطلاب، وهو بالضرورة أعلم منهم، لكن هذا وذاك لا ينبغى أن يكون مبررًا لتعالى المعلم على طلابه، وقال تعالى لرسوله الأمين:

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾، وصح عن رسول الله : أن الله أوحى إلى أن تواضعوا وما تواضع أحد لله إلا رفعه، هذا بالنسبة إلى ما يجب على عموم الناس، فما بالنا بمن تقع على عاتقه مسئولية التنشئة والتربية والتكوين ؟ ونقل ما نسب للنبى ﷺ : "لينوا لمن تعلّمون، ولمن تتعلمون منه" . ويتصل بهذا أن يكون المعلم بشوش الوجه، يسأل الطلاب عن أحوالهم، ويظهر الانفعال بما يسمع إن سرورًا أو تألمًا، وبالجملة، الالتزام بوصية رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو سعيد الخدرى قول رسولنا العظيم: "إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم المتجبرين المتكبرين، فاستوصوا بهم خيرًا" .

١٢- وهناك فن مهم من فنون التعليم ألا وهو "فن السؤال" ، سواء من حيث ما يطرحه المعلم من أسئلة أو من حيث ما يطرح المتعلمون، فلا بد أن يتيح المعلم الفرصة فى درسه ليوجه الطلاب أسئلتهم إليه ويشجعهم على ذلك. ويرى ابن جماعة أن خير وسيلة لتشجيع الطلاب على المناقشة وتوجيه الأسئلة هى تواضع المعلمين لهم وحسن معاملتهم، فإن الطالب إذا استشعر حب معلمه وشفقته عليه كان ذلك أشرح لصدره وأطلق لوجهه وأبسط لسؤاله (حسن عبد العال ١٩٨٣، ص ٢٦٧).

كما أن على المعلم أن يسمع السؤال من أى أحد من متعلميه دون أن يفرق بينهم فى ذلك، ولا يمنع أحدًا منهم من مناقشته، كما أن على المعلم أن يخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه بمزيد من الالتفات إليه وإقبال عليه وإن كان صغيرًا، فإن ترك ذلك يصفه ابن جماعة بأنه عمل من أعمال سوء التعليم .

كذلك فمن المهم للغاية أن يتنبه المعلم للأسئلة المفيدة ذات الجدوى، لأن بعض الطلاب أحيانًا ما يسألون عن أمور تخرج عن موضوع الدرس، أو فى أشياء تافهة، وربما يسأل بعض الطلاب فى أمور لم يتهيئوا بعد للحديث فيها، على أن يكون أسلوب المعلم فى صرف من يسأل فى هذا الاتجاه بلطف، ومحاولة إقناع الطالب بأن الحديث فى هذا الموضوع لا يفيده، وربما يضيع الوقت عليه وعلى زملائه .

آداب المتعلم مع نفسه :

القاعدة الذهبية دائمًا في التغيير الإنسانى أن تكون نقطة البداية من الذات، سواء على المستوى الفردى أو على المستوى الجماعى، سواء أكان الأمر بالنسبة إلى المعلم أم المتعلم، لأى فرد، في أى مجال، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ومن هذه الزاوية يحدد ابن جماعة الآداب التالية :

١- مثل زرع العلم في نفس المتعلم وقلبه وعقله، مثل غرس النبات السليم في أرض صالحة، لا يستقيم الغرس إلا بعد تطهير الأرض مما قد يفسد عملية الزرع من ديدان وحشرات وطفيليات، ومن ثم فالمتعلم في حاجة ماسة إلى تطهير نفسه مما قد يكون قد ران عليها من غش وغل وحسد وسوء عقيدة وخلق، فإن من شأن هذا أن يهيئ المتعلم لحسن التعلم وجودة التلقى، كما يشبه العلم في ذلك أيضًا بالصلاة، فكما لا تصح الصلاة التي هى عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث، فكذلك لا يصح العلم الذى هو عبادة القلب إلا بطهارة عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها . فإذا تطهرت النفس، وطهر الجسد، وعمر القلب بصدق الإيمان، لا بد أن يسبق تحصيل العلم عقد النية على طلبه لا لغرض دنيوى كالعادة، وإنما لوجه الله عز وجل .

٢- ولأن العلم يقتضى الخلوص له والتفرغ، أسرف ابن جماعة، مثل كثيرين، بضرورة قطع العلائق بين المتعلم وبين ما يمكن أن يشغله عن الطلب من شواغل الدنيا، وهو الأمر نفسه الذى رأيناه في آداب العالم والمعلم، فالنهج إذن هنا واحد، لا فرق بين معلم ومتعلم، وبالتالى فلا بد للمتعلم هو أيضًا أن يقنع من القوت بما يقيم الأود، ومن اللبس بما يستر، ووصل الغلو إلى درجة ترجيح عدم التزوج، حيث إن الحياة الزوجية تشغل الإنسان بالمطالب الحياتية، والعلم يحتاج إلى فراغ بال وعكوف على الطلب دون قلق .

٣- ويحتاج طالب العلم أن يحسن استثمار الوقت في التحصيل والمذاكرة والحفظ، بحيث يتحتم تقسيم الوقت كى يختار لكل فترة ما يناسبها من التعامل مع العلم، وعلى سبيل المثال فإن أجود أوقات الحفظ :الأسحار، أما البحث، فوقت البكور، وبالنسبة إلى الكتابة فيناسبها

وسط النهار، ووقت الليل يناسب المطالعة والمذاكرة . وقد يكون غريبًا أن نجد ابن جماعة، من حيث الأماكن لا يحبذ طلب العلم وسط المزارع والبساتين وعلى ضفاف الأنهار، على عكس ما نتصوره من أن مثل هذه الأماكن أنسب، ويبدو أن الرجل يخشى على المتعلم أن يدفعه مثل هذا "الجو" الجميل، إلى الانشغال بأمور أخرى دنيوية. لكنه في الوقت نفسه ينصح بالبعد عن أماكن الضوضاء والتلوث السمعى. ويرتبط بهذا أيضًا أن يكون المتعلم غير ممتلئ المعدة بالطعام، مستعينًا بقوله ﷺ: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"، كما رواه الترمذى (ابن جماعة، ص ٢٠٨).

٤- بل وتبلغ الدقة بابن جماعة أن يحرص على تمام الجوانب البدنية، فيشير إلى حديث مفصل عن أنواع بعينها من الطعام رأى أنها تساعد على صفاء الذهن، والبعد عن أخرى ذات تأثير مغاير . ويتصل بهذا التقليل من النوم على عكس ما يتم النصح به في أيامنا الحاضرة من حيث وجوب أن يحصل الجسم على حاجته من النوم، وإن كان الرجل قد تحفظ في نصحه قائلا: "ما لم يلحقه ضرر في بدنه وذهنه". والراحة الجسمية مهمة، فإن عدم راحة الجسم تقلل من فاعلية وظائف الأجهزة الجسمية والحسية .وفضلا عن ذلك يتنبه الرجل إلى أهمية ممارسة رياضة المشى، وأن يخرج إلى المتنزهات بحثًا عن الترويح المناسب بحيث تتجدد طاقته فتعاود التحصيل بهمة ونشاط .

آداب المتعلم مع معلمه :

فالمتعلم هنا يجد نفسه أمام والده الثانى، إذا صح هذا التعبير، فوالداه يكسبانه الوجود المادى الجسدى وينميانه، والمعلم يكسبه الوجود المعنوى والمعرفى، وينميه ويطوره، ومن ثم وجب على المتعلم أن يراعى الواجبات التالية (ابن جماعة، ص ٢١٢):

١- كان نظام التعليم في هذه العصور الزاهرة يتيح الفرصة للطالب أن "يختار" معلمه، على العكس مما هو غالب في نظامنا التعليمى المعاصر، وإن كان ما يسمى بنظام الساعات المعتمدة يتيح

شيئًا من بعض الاختيار . ومن هنا نصح ابن جماعة الطالب أن يدقق بأقصى ما يستطيع فى اختيار من يتلقى منه العلم، بحيث يكون ممن عرف بحسن الخلق ويكون ممن كملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته، وكان أحسن تعليمًا وأجود تفهيمًا، واستشهد في ذلك بقول بعض أهل السلف: "هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم". لكن في الوقت نفسه يحذر مما قد يقع فيه من شهرة البعض، فقد يكون هناك من العلماء من لم يبلغوا درجة عالية في الشهرة، لكن ما لديهم من علم، يكون أعمق وأنسب، وفى كل الأحوال، يكرر الإلحاح على ضرورة مراعاة ما يكون عليه المعلم من ورع. ويجب ألا ندهش من هذا الإلحاح، فشدة الورع وصدقه هما مهمازا بروز كثير مما نتمنى في العالم والمتعلم في وقت واحد، وأظهر ما يمكن أن يذكر في هذا أن الورع يتطلب الصدق، وصدق المعلم مع المتعلم يلزمه بأمانة الأهلية والإخلاص في التعليم والرفق في المعاملة... وهكذا.

٢- وربما يقبل قارئ اليوم بقدر من الغرابة، وربما عدم الارتياح على ما ينصح به ابن جماعة الطالب من الانقياد التام لمعلمه "ولا يخرج عن رأيه وتدبيره"، وهو الأمر الذى يشيع بصفة خاصة في التربية الصوفية، لكن، كما هو متفق عليه، يجب أن ننظر إلى الأمر في سياقه الحضارى، فقد كان المعلم – أو هكذا المفروض– وكأنه "كامل الأوصاف"، بعد ما أكد على ضرورة توافر جملة من الآداب والخصائص، من حيث الطهارة وصدق النية والخلوص لله وحده، وشدة التقوى، وعمق الصدق، وفضائل الأخلاق، فأمام معلم بمثل هذه المواصفات، قد يصبح الانقياد له مفهومًا إلى حد كبير. وفضلاً عن ذلك فمكانة العالم كانت على درجة من السمو والرفعة إلى الدرجة التي نجد فيها بعض أولاد الخليفة المهدى يحضر عند "شريك"، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه شريك، ثم عاد، فعاد شريك بمثل ذلك، قال : تستخف بأولاد الخلفاء ؟ قال : لا، ولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه !!

٣- وإذا كان مطلوبًا من المعلم أن يكون رفيقًا بالمتعلمين، فإن المتعلمين أنفسهم يجب أن يكونوا كذلك بالنسبة إلى معلميهم، فلربما صدر من المعلم ما ليس طيبًا، ولربما أظهر جفوة في يوم أو معاملة، فها هنا ينبغى على الطالب أن يصبر على ذلك، خاصة إذا كان العهد بذلك المعلم غير ذلك، في غالب أحواله، "فلكل عالم هفوة"، و"لكل جواد كبوة"، كما يقولون ! وإذا ما وبخ المعلم تلميذه على ما فيه من نقيصة، فلا ينبغى أن يغضب التلميذ لذلك، بل على العكس، يفضل أن يشكره،

بالضبط مثلما يجب أن يشكره على إرشاده له إلى فضيلة من الفضائل. وإذا تصادف أن كان الطالب عارفًا بتوجيه وجهه إياه المعلم، فلا يصح أن يظهر معرفته بذلك، بل يتيح الفرصة لإشباع نفس المعلم باعتباره يبذل ما يستطيع لنصح الطالب وإرشاده وتعليمه. وكذلك إذا سمع الشيخ يذكر حكمًا في مسألة أو حكاية أو ينشد شعرًا، وتصادف أن كان الطالب عارفًا، فمن المفضل ألا يظهر معرفته، ويظهر اهتمامه بالاستماع إلى ما يقوله المعلم.

٤- أما بالنسبة إلى مجلس التعليم نفسه، فلا بد للطالب من الاستئذان أولا قبل دخوله على أستاذه . كذلك لا بد من دخول الطالب على شيخه كامل الهيئة، متطهر البدن والثياب، نظيفها، وطيب رائحة .وتتعدد الواجبات بعد ذلك، ، فلا بد من حسن الاستماع والإصغاء، ولا يلتفت إلى يمينه أو يساره، ولا يبعث بجزء من بدنه بغير داع، ولا يضحك دون سبب، ولا يكثر التنحنح، ولا الكلام، ويحرص على استخدام المنديل، إذا اضطر إلى البصق أو التنخم، وهما مكروهان أصلا في مجلس العلم ..إلى غير هذا وذاك من تفاصيل دقيقة تتعلق بالسلوك اليومى الشخصى .

٥- كذلك، فمن أدب المتعلم مع معلمه ألا يوجه الخطاب معه بصورة يُشم منها تجاوز حدود الأدب، بحيث يبدى تشككه فيما يقوله المعلم، أو يطلب منه أن يكشف عن مصدر حديثه، أو يبادر بذكر أقوال آخرين مغايرين لما يقوله المعلم، ولا يبادر بالرد على المعلم إذا قال له : أنت قلت كذا، فيبادر الطالب بالرد بأن هذا لم يحصل، ويلجأ إلى طرق غير مباشرة ولا جارحة، إذا كانت ثمة ضرورة للرد من أجل التوضيح، حيث إننا لا نكون هنا إزاء مبارزة أو مصارعة .ويسوق ابن جماعة مثالا على درجة عالية من اللياقة والكياسة، فإذا سأل المعلم الطالب عن حفظ شعر، والطالب يعرفه، فلا يبادر بالتسميع، ففى ذلك استغناء عن المعلم، ولا يجيب بالنفى، ففى ذلك كذب، وإنما يقول إنه يحب أن يسمعه من معلمه !!(ابن جماعة، ص ٢٢٢).

٦- كذلك يتناول ابن جماعة تفاصيل جزئية ودقيقة للغاية تظهر كم كانت عالية علواً فوق التصور، مكانة المعلم بالنسبة إلى تلاميذه، أو هكذا كان يجب أن تكون، إلى الدرجة التي يرصد فيها احتمالات التصرف من قبل التلميذ عند مناولة المعلم شيئًا أو تناوله منه، وكذلك إذا خرج معه، كيف يكون السلوك ليلاً، وكيف يكون نهارًا، حيث من الطريف أن نقرأ، على

سبيل المثال "ويؤثره بجهة الظل في الصيف ،وبجهة الشمس في الشتاء، وبجهة الجدار في الرصفانات ونحوها، وبالجهة التي لا تقرع الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه، ولا يمشى بين الشيخ وبين من يحدثه ..."، وكأننا أمام "بروتوكول" خاص لابد من الالتزام به، كما هو الأمر في الأوساط السياسية والدبلوماسية من حيث التعامل مع الملوك والأمراء والقادة الكبار والرؤساء والقيادات الكبرى في الدولة !!

شروط التعلم بالنسبة إلى المتعلم :

في كل المحاور التي تناول ابن جماعة من خلالها مسائل وقضايا تربوية، كان المصطلح المفضل لديه دائمًا هو "آداب"، وهو من المصطلحات الدالة، لكننا نعمد أحيانًا إلى اختيار مصطلح آخر، قد يختلف صياغة، لكنه يتفق مدلولا ومعنى، ومن هنا فالجزء الحالى يتعلق بمجموعة من الشروط التي يجب على المتعلم أن يلتزم بها أثناء طلبه العلم (عطار، ص٢٢٥):

أولاً– كتاب الله هو الأصل بالنسبة إلى كل الدراسات الإسلامية، ومن ثم يصبح محتمًا على المتعلم أن يبدأ به حفظًا وفهمًا وإتقانًا، ومعرفة بتفسيره، وما يتفرع عنه من علوم ودراسات، فضلا عما يوجبه هذا من الأخذ بطرف من العلوم المتصلة به مثل الحديث والنحو والصرف. ومما لا بد منه للمتعلم أن يتيقن أولاً، قبل حفظ آيات القرآن الكريم، أنه ينطقها بطريقة سليمة، وهذا يعنى أن تكون هناك مراجعة على يد شيخ، مع الحرص على التكرار، حتى يكون هناك اطمئنان على صحة النطق وسلامة الفهم.

ثانيًا – يلى دراسة كتاب الله، دراسة أحاديث رسول الله ﷺ، لا معرفة النصوص فقط، بل معرفة الإسناد ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده ولغته وتواريخه، ويفضل العناية أولا بصحيحى البخارى ومسلم، ثم لا بأس بعد ذلك بالاطلاع على موطأ مالك، وسنن أبى داود، والنسائى، وابن ماجة، وجامع الترمذى، ومسند الشافعى. وينبه ابن جماعة هنا إلى أن الدراسة لا ينبغى أن تقوم على مجرد "الرواية"، بل لا بد من الاستناد على نهج "الدراية"،

والنهج الأول يعنى الاقتصار على السرد والوصف والتسجيل، ومن ثم فجهد المتعلم قليل، أما النهج الثانى فيعنى الفهم والوعى والتفسير والربط والاستنباط والمقارنة، وهذا وذاك من علامات النجابة والنباهة فى المتعلم .

ثالثًا – هناك من الأمور التي يمكن التأكيد على ضرورتها في مرحلة عمرية وتعليمية، لكن، يُحَذّر منها في مرحلة أخرى، ومثال ذلك، ما يكون عادة في العلوم الإنسانية، ومنها العلوم الدينية، من اجتهادات واختلافات في وجهات النظر، فذلك أمر يحمد الوقوف عليه، لكن في مرحلة متأخرة من التعليم، حيث يكون المتعلم قد نضج وأتقن الأصول والمبادئ الأساسية، ومن هنا نفهم نهى ابن جماعة، مثلما نهى الغزالى من قبل، أن نغرق المبتدئ في خلافات أصحاب الرؤى المتباينة ووجهات النظر المختلفة، ثم نعكس التوجه بعد أن يمضوا فترة معقولة في طلب العلم .

رابعًا – ويؤكد ابن جماعة على نهج أصبحنا نفتقده كثيرًا وخاصة في الدراسات العليا، مرحلتى الماجستير والدكتوراه، حيث توقفت العلاقات بين الباحث والأستاذ عند حد العلاقة الورقية، إذ يشدد ابن جماعة على أهمية "الملازمة" من جانب المتعلم للمعلم وذلك بأن يلزم حلقة شيخه في التدريس والإقراء، بل وجميع مجالسه إذا أمكن، فإنه لا يزيده إلا خيرًا وتحصيلاً وأدبًا وتفضيلاً . ومما يزيد من قيمة التعلم، أن يسعى الجمع من الطلاب أن يتذاكروا سويًّا الأفكار الأساسية التي سمعوها من الأستاذ، ويصحح بعضهم لبعض، سواء في الفهم أو النطق أو المكتوب.

خامسًا – يقتضى مجلس التعليم صرف الأذهان عن الشواغل المختلفة كى تصفو العقول لما يقوله المعلم، حتى ولو شعر المتعلم بأن آخر من زملائه أتى ما لا يجب، قولاً أو فعلاً، فلا ينهاه عن ذلك، بل يترك الأمر للمعلم نفسه، وإن كانت ضرورة، لا يكون النهى عن سيئ الفعل أو القول إلا بالإشارة والتلميح . لكن لا بد للجماعة من أن تتكاتف لتضرب بيدها على من يجرؤ على إساءة الأدب على الشيخ.

سادسًا – إذا عنّ للمتعلم تساؤل، نظرا لأمر مر عليه فاستغلق عليه فهمه، فلا ينبغى أن

يتردد لحظة في طرح ما غمض عليه على المعلم، لكن بالعبارة المهذبة الرقيقة، أما هؤلاء الذين يستحيون من طرح الأسئلة من أجل مزيد من الفهم، فهؤلاء يتسببون في أن تكون معرفتهم منقوصة أو مشوشة أو غامضة، ولعل هذا هو مغزى قول عمر رضى الله عنه: "من رق وجهه رق علمه"، أى من استحيا من التساؤل عما يفهم، فسوف يقل علمه، ولهذا أيضًا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: "رحم الله نساء الأنصار، لم يكن الحياء يمنعهن أن يتفقهن في الدين" (ابن جماعة، ص ٢٣٢).

ومن آداب التساؤل الواجب الالتفات إليها بيقظة ووعى ألا يسأل المتعلم في موضوع ليس مطروحًا للنقاش. وإذا كان من المهم ألا يستحيى المتعلم من السؤال، فعليه أيضًا ألا يستحيى إذا لم تكن الإجابة موضحة لما كان يسأل عنه، في مصارحة المعلم بأنه ما زال بحاجة إلى مزيد إيضاح، أو معلومات .

كيفية التعامل الرشيد مع مصادر العلم ؟

لم يكن هناك من مصادر للمعرفة في زمن ابن جماعة إلا المعلم، والكتب، وإذا كان أغلب المربين قد حرصوا على تناول ما يتصل بالمعلم والعلاقة بينه وبين المتعلم، فلعلها من المرات النادرة حقًا أن يهتم مربٍ مثل ابن جماعة بأن يجعل "الكتاب" موضوعًا للبحث والنقاش، باعتباره المصدر الأساسى للمعرفى في ذلك الوقت، ومن هنا فقد وضع مجموعة من الآداب التي فضّل أن يلتزم بها المتعلم، فيما يتصل بالكتاب الدراسى بصفة خاصة (ابن جماعة، ص ٢٣٥):

- ما دامت الكتب هى "وعاء المعرفة" الأساسى، كان من المحتم على من نذر نفسه للتعلم أن يحرص على تحصيل الكتب، إذا أمكنه ذلك، فإن لم يمكنه، فهناك سبل أخرى كانت متداولة مثل الإعارة أو الإجارة، شريطة ألا تكون المسألة مجرد جمع للكتب وإلا أصبحت شبيهة بالذين يكنزون الذهب والفضة، لا يستخدمونها في تيسير حياتهم، ومن هنا جاء قول القائل :

إذا لم تكن حافظًا واعيًا فجمعك للكتب لا ينفع

– وبطبيعة الحال، فإذا تمكن من شراء هذا الكتاب أو ذاك، فمن العبث أن يشغل نفسه بنسخه، إلا إذا كان استعارة أو استئجارًا .

– ولأن المعرفة ينبغى أن تتاح لأكبر عدد ممكن، وهناك من لا يستطيعون تكاليفها، فمن المفضل لمن يملك كتبًا أن يتيح استعارتها لغيره من الطلاب، وهؤلاء لا بد أن يكونوا أهل ثقة، فإذا كان هناك من استأمنهم على الكتاب، فإن أقل ما يجب هو إعادة الكتاب سليمًا من كل عبث، بعد الاستفادة منه إلى صاحبه.

– ويهتم ابن جماعة بتفصيل بعض الواجبات التي لا بد منها في التعامل مع وضع الكتب في خزانتها، وفى ترتيبها، وفى نسخها، وفى تصفحها، وفى المحافظة عليها، وكيفية وضع الكتاب بطريقة تسهل على صاحبه العثور عليه بسرعة، خاصة إذا كان كثير الكتب، وكيف يكون الحرص على تعامل صحى معين مع صفحات الكتاب حتى يتلافى صاحبه أن يكون مقصدًا لبعض الحشرات .

– وإذا ما اشترى المتعلم كتابًا فلا بد له من تصفحه وتقليب أوراقه ليتأكد من ترتيبها وسلامتها، وهكذا ينبغى أن يكون الشأن كذلك عند الاستعارة أو رد الكتاب.

– وعند نسخ كتاب، فليحذر المتعلم الناسخ أن يجىء خطه صغيرًا دقيقًا، إذ لا بد من أن يكون واضحًا جليًّا، حتى يشجع على حسن قراءته، وبالتالى الاستفادة منه، وهذا يقتضى مراعاة مناسبة وصلاحية القلم الذى ينسخ به، كذلك بالنسبة إلى المداد.

– ونسخ كتاب يوجب أن يراجع بالمقابلة بين النسخة المستنسخة وبين الأصل، ويفضل أن يكون المراجع شخصًا آخر، فإلف المتعلم للكلام قد يفوت عليه الانتباه إلى بعض الأخطاء .

والحق أن ابن جماعة لا تكاد صغيرة ولا كبيرة فيما كان متداولاً في أمور التربية والتعليم إلا وأرشد إليها تفصيلاً وتبيانًا وتوضيحًا في صورة جعلت من الكتاب من أوفى ما كتب خصيصًا في التربية الإسلامية، ولا يقلل أبدًا من القيمة العلمية والتربوية للكتاب ما قد

يتصوره البعض من بساطة وتوقف طويلا عند بعض الجزئيات، فتلك كانت أصول التعليم في ذلك الوقت، بل إن كثرة التفصيل والإلحاح في بعض المسائل لمؤشر يؤكد شمول تفكير الرجل ودقة فهمه وحرصه على أن يحيط بالمسألة من جوانبها المختلفة .

مراجـــع

١- أحمد عبد الغفور عطار : آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية، بيروت، ١٩٦٧، د.ت.

٢- جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، دار الهلال، ١٩١٢.

٣- حسن عبد العال : فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، د.ت، د.م، ١٩٨٣.

٤- _____: الفكر التربوى عند بدر الدين بن جماعة، فى (من أعلام التربية العربية الإسلامية، الرياض، مكتب التربية العربى لدول الخليج)، ج٣، ١٩٨٨.

obeikandl.com